

العبادة الحققة

بقلم: شكري حبيبي

ما هي مقومات العبادة الحققة؟ وعلى أي أساس ترتكز. في حوارها مع المسيح تساءلت المرأة السامرية قائلة: " أبأؤنا سجدوا في هذا الجبل وأنتم تقولون إن في أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يُسجد فيه! قال لها يسوع يا امرأة صدقيني إنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للآب. أنتم تسجدون لما لستم تعلمون. أما نحن فنسجد لما نعلم. لأن الخلاص هو من اليهود. ولكن تأتي ساعة وهي الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق. لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له. الله روح. والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا." (الإنجيل بحسب بشارة يوحنا ٤: ٢٠-٢٤)

في إجابته للمرأة السامرية كشف الرب يسوع المسيح ولأول مرة عن حقيقة هامة وخطيرة بالنسبة للعبادة، وهي أن عبادة الله لم تعد ترتبط بمكان معين. حتى الهيكل في أورشليم، والذي كان الله يحل فيه، وهو مركز عبادة الله بالنسبة لشعب الله قديماً، لم يعد هو المكان الصالح لعبادة الله الآب. وأكد أن ساعة السجود الحقيقي لله الآب بالروح والحق قد بدأت منذ الآن. وأن هذه هي رغبة الآب وشهوته أن يسجد له الإنسان بالروح والحق.

لقد أعلن المسيح بهذه العبارة عن انتهاء نظام العبادة الناتج عن العهد القديم بكل حرفيته ورموزه وإشارات، وبدء نظام جديد للعبادة، يختلف بالكلية عن نظام العبادة القديم، ألا وهو عبادة الله الآب بالروح والحق. وأوضح المسيح في نفس الوقت عن الحقيقة التي تكمن وراء هذا التغيير الجذري الذي حصل، وهو أن الله روح، أي هو موجود في كل مكان، وبالتالي فإن السجود له ينبغي أن يكون بالروح والحق. وهذا ما كان قد أعلنه النبي أشعيا قديماً عندما كتب قائلاً: "هكذا قال الرب. السموات كرسيي والأرض موطن قدمي. أين البيت الذي تبنون لي وأين مكان راحتي. وكل هذه صنعتها يدي فكانت كل هذه يقول الرب." (إشعيا ٦٦: ١ و٢) ثم عاد شهيد المسيحية الأول استفانوس وأكد هذه الحقيقة لليهود المجتمعين ليقتلوه (راجع أعمال ٧: ٤٧-٥٠) إذن إن السجود الحقيقي وأساس العبادة الحققة يكونان بالروح والحق.

العبادة بالروح والحق

ماذا تعني أن تكون العبادة بالروح والحق؟ بما أن الله روح فإن العبادة الحقّة، يجب أن تكون بالروح أيضاً. والروح هو عكس المادة والأمور الحسية الملموسة. فنحن كمؤمنين نعبد الله الذي لا نراه بالروح، ولهذا لم يعد المكان الذي نعبد فيه الله له أي اعتبار. وكذلك لم تعد للممارسات الطقسية أي شأن. والروح قد يشير أيضاً إلى الروح القدس، فنحن كمؤمنين نعبد الله بواسطة الروح القدس الحال فينا. أما الحق فهو الله، وهو الرب يسوع المسيح الذي قال عن نفسه: أنا هو الطريق والحق والحياة. فالعبادة الحقّة يجب أن تكون من خلال الرب يسوع المسيح، الذي مات على الصليب لكي يكفر عن ذنوبنا، وقام من بين الأموات لكي يهبنا الحياة الروحية الجديدة، والحياة الأبدية، وليجعلنا من أولاد الله. وهو الآن حي في السماء يشفع فينا أمام الله الآب.

وتبدأ العبادة الحقّة بأن ندرك أولاً حقيقة نفوسنا الخاطئة، ونعترف بآثامنا وزلاتنا أمام الله. وإلا فستكون عبادتنا باطلة وشكلية. وعندما نعبد الله الآب على هذا الأساس أي بالروح والحق، تكون عبادتنا صحيحة ومقبولة أمامه. ونكون في نفس الوقت في علاقة أو شركة روحية حية معه.

المسيح هو هيكل الله

هناك سبب هام آخر جعل من العبادة في المكان الذي عيّنه الله قديماً لعبادته، أي الهيكل بأورشليم يصبح عديم الفائدة وبلا جدوى، وهو تجسد الاقنوم الثاني من اللاهوت، وصيرورته إنساناً. إن الكلمة الأزلي قد "صار جسداً وحلّ بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحد من الآب مملؤاً نعمة وحقاً... الله لم يره أحد قط. الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خير." (يوحنا ١، ١٤: ١) لقد ملأ حضور الله في القديم قدس الأقداس في الهيكل، لكنه الآن تنازل هو نفسه إلى عالمنا، وتجسد من الابن الأزلي. وبذلك انتهى دور الهيكل كمركز لعبادة الله، لأن المسيح الابن المتجسد، الذي حلّ فيه مجد الله قد صار هو مركز العبادة ومحورها، وأصبح المسيح بالتالي هو هيكل الله. ولهذا لم يكن غريباً أن يقول المسيح لليهود مرة: "انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمه. فقال اليهود في ست وأربعين سنة بني هذا الهيكل أفأنت في ثلاثة أيام تقيمه. وأما هو فكان يتكلم عن هيكل جسده. فلما قام من الأموات تذكر تلاميذه أنه قال هذا فأمنوا بالكتاب والكلام الذي قاله يسوع." (يوحنا ٢: ١٩-٢٢) وكما نعلم فلقد انشق حجاب الهيكل من فوق إلى أسفل عند موت المسيح على الصليب، معلناً الله بذلك رسمياً انتهاء الهيكل كمكان للعبادة. وفي عام ٧٠ ميلادية هدم القائد الروماني تيطس الهيكل، ولم يبق منه حجر على حجر، تماماً كما تنبأ المسيح. (راجع متى ٢٤: ٢) أجسادنا هيكل الله

هل نعلم أيضا أننا نحن كمؤمنين هياكل الله ؟ كتب الرسول بولس إلى المؤمنين في كورنثوس قائلا: "أما تعلمون أنكم هيكल الله وروح الله يسكن فيكم. إن كان أحد يفسد هيكل الله فسيفسده الله لأن هيكل الله مقدس الذي أنتم هو." (١كورنثوس ٣: ١٦ و ١٧) لم يعد هيكل الله إذن بناءً معيناً في مكان محدد، بل أصبح كل مؤمن بالمسيح هو هيكل الله. وهذا يضع مسؤولية كبيرة علينا كمؤمنين، لكي لا نشوه هيكل الله أو نفسده، عن طريق تصرفاتنا وأعمالنا غير اللائقة.

الكنيسة هي هيكل الله.

وهناك حقيقة هامة أخيرة وهو أن جسد المسيح أي الكنيسة، قد أصبح كشعب الله هيكلا لله. كتب الرسول بولس قائلا: "وأية موافقة لهيكل الله مع الأوثان. فإنكم أنتم هيكل الله الحي كما قال الله إني سأسكن فيهم وأسير بينهم وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً." (٢كورنثوس ٦: ١٦) وكتب الرسول بولس أيضا في مكان آخر قائلا: "مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية الذي فيه كل البناء مركبا معا ينمو هيكلا مقدسا في الرب. الذي فيه أنتم أيضا مبنيون معا مسكنا لله في الروح." (أفسس ٢: ٢٠-٢٢) أجل إن كنيسة المسيح اليوم، شعب الله، هي هيكل الله الحي المقدس، الذي يسكن فيها الله بروحه القدوس. فما أعظم هذا الامتياز لنا كمؤمنين، أن تكون أجسادنا هياكل للروح القدس، وأن نكون ككنيسة، شعب الله الواحد الذي يسكن الله فينا من خلال روحه القدوس.

أما إذا كنت قارئ لم تختبر بعد هذا الاختبار المجيد، أي أنك لست من أولاد الله الذين يسكن الله بروحه القدوس في قلوبهم، فإني أدعوك الآن لكي تأتي إلى الله بالتوبة والإيمان بالرب يسوع المسيح وبموته الكفاري على الصليب وقيامته المجيدة من بين الأموات، وهكذا تصبح هيكلا مقدسا لله . وعندها تستطيع أن تعبد الله العبادة الحقيقية بالروح والحق.